دور السياق والعناصر داخل النص في الكشف عن غرض سورة المائدة من وجهة نظر الفريقين

رقيه صادقي آهنگري
طالبة في المستوى الرابع، الحوزة العلمية للسيدة خديجة (سلام الله عليها)، بابل، مازندران، إيران
ru.sadeghi@gmail.com
الدكتور هادي رزاقي هريكنده‌يي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم المعارف، جامعة نوشيرواني الصناعية، بابل، إيران
Razaghi@nit.ac.ir
الدكتور مرتضى عبدي چاري
أستاذ مساعد، قسم الأبحاث المهدوية، معهد الأبحاث المهدوية والدراسات المستقبلية، معهد أبحاث العلوم والثقافة الإسلامية، قم، إيران
m.abdichari@isca.ac.ir

The role of context and elements within the text in revealing the purpose of Surat Al-Ma'idah from the point of view of both groups

Roghiyeh Sadeghi Ahangari
Fourth year student , Lady Khadija (PBUH) Seminary , Babylon , Mazandaran , Iran
Dr. Hadi Razaghi Harikandeh (Responsible Author)
Associate Professor , Department of Knowledge , Noshirvani University of Technology , Babol , Iran
Dr. Morteza Abdi Chari
Assistant Professor , Department of Mahdavian Research , Institute of Mahdavian Research and Future Studies , Research Institute of Islamic Sciences and Culture , Qom , Iran

الملخص:-

من المسائل المهمة في تفسير القرآن هو استخراج المقصد العام للسورة واكتشاف محورها الأساسي الذي كان محط اهتمام بعض علماء القرآن لفترة طويلة. يسعى هذا الأسلوب في المقام الأول إلى اكتشاف الأهداف الرئيسية والثانوية للسور، وبعد ذلك، من خلال اكتشاف الارتباط بين سياق الجمل والآيات، يحاول ترسيم الأهداف الثانوية، وفي فضاء أعلى، المقصد العام من السورة. سورة المائدة هي إحدى سور القرآن ولها أغراض تكشف لنا العديد من المعارف الإلهية وتلعب دوراً كبيراً في اكتساب المعارف القرآنية. لهذا السبب يبدو من الضروري اكتشاف بنية هذه السورة والغرض منها اكتشافاً استدلالياً. يقوم هذا البحث بدراسة سياق سورة المائدة ومقصدها على ضوء المنهج الوصفي التحليلي، وتدل نتائج البحث على أن سورة المائدة تحتوي على تسعة سياقات، يسعى كل منها إلى غرض ما ولكنها كلها تقوم على الهدف الأساسي للسورة، وهو: "وفاء العهد وإثبات مسألة الولاية وقبولها" كما أنّ هذا الهدف يتوافق مع المعايير الداخلية لفهم جوهر سورة المائدة. الارتباط بين بداية السورة وآخرها، والأسماء الحسني، والكلمات المتكررة والكلمات التي تم استخدامها مرة واحدة، وقصص السورة من أهم معايير اكتشاف محور سورة المائدة والتي تنسجم وتتوافق مع سياقات السورة وموضوعاتها.

الكلمات المفتاحية: سورة المائدة، السياق، الغرض، العقود، الولاية.

Abstract:-

One of the important issues in the interpretation of the Qur'an is to extract the general purpose of the Surah and discover its main axis, which has been of interest to some Qur'anic scholars for a long time. This method primarily seeks to discover the main and secondary objectives of the Surahs, and then, by discovering the connection between the context of sentences and verses, it attempts to draw the secondary objectives, and in a higher space, the general purpose of the Surah. Surah Al-Ma'idah is one of the Surahs of the Qur'an and has purposes that reveal to us many divine knowledges and play a major role in acquiring Qur'anic knowledge. For this reason, it seems necessary to discover the structure of this Surah and its purpose in a deductive way. This research studies the context and purpose of Surah Al-Ma'idah in light of the descriptive analytical approach. The results of the research indicate that Surah Al-Ma'idah contains nine contexts, each of which seeks a purpose, but they are all based on the main purpose of the Surah, which is: "fulfilling the covenant and proving the issue of guardianship and accepting it." This purpose is also consistent with the internal criteria for understanding the essence of Surah Al-Ma'idah. The connection between the beginning and end of the Surah, the beautiful names, repeated words and words that were used once, and the stories of the Surah are among the most important criteria for discovering the theme of Surah Al-Ma'idah, which is consistent and compatible with the contexts and topics of the Surah.

Key words: Surah Al-Ma'idah, context, purpose, contracts, guardianship.

مشكلة البحث:-

يعد اكتشاف جوهر السور القرآنية من المواضيع الهامّة في الدراسات القرآنية، وأهم فائدتها الإلمام بالمفاهيم القرآنية. يصر أحد المفسرين المتأخرين "العلامة الطباطبائي" على أن كل سورة ليست مجرد مجموعة من الآيات المتفرقة، بل هناك قاعدة جامعة لكل سورة تبين انسجام الآيات ويقول: إنّ سبب فصل الله كل مجموعة من الآيات عن المجموعة الأخرى وإعطاء اسم لكل سورة هو أنّ هناك نوعا من الترابط والاستمرارية في كل مجموعة في جزء من مجموعة أو بين كل سورة وسورة أخرى لا يوجد اتصال محدد. من هذا نفهم أن أهداف كل سورة ومقاصدها تختلف عن السور الأخرى. كل سورة تعرض لتعبر عن هدف ووجهة محددة، ولا تنتهي السورة إلا بانتهاء ذلك الهدف وبلوغ تلك الغاية.» (الطباطبايي، ١٤/١) إحدى الطرق التي تساعد المفسر على تحقيق غرض السورة هي الانتباه إلى "سياقها" ولكن يبدو أنّ المفسرين لم يعطوا الاهتمام الواجب لسياقه وعناصره، وقد أهمل هذا الأسلوب. لذلك يسعي هذا البحث إلى اكتشاف المحور الرئيسي لسورة المائدة من خلال استخدام السياق. والسياق، باعتباره أحد عناصر داخل النص والقرائن اللفظية المستمرة، هو السبب الأقوى والأبلغ في التعبير عن معنى الآيات وفهمها. (المصدر نفسه: ١١٦/٦) كما يرى الزركشي أن معنى السياق يساعدنا في تفسير المجمل واليقين بعدم احتمال الخلاف، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أكبر الأدلة التي تنقل قصدية المتكلم، ومن أهمله فقد أخطأ في حالات متشابهة.(الزركشي، ٣٣٥/٢) تجدر الإشارة إلى أنّ سياق الآيات يستخدم كأحد القرائن المترابطة في فهم الكلام، حتى يمكن فهم معنى الآيات في سياقها. بعبارة أخرى؛ السياق هو أحد أفضل القرائن لاكتشاف المعاني الدقيقة للآيات وعدم الاهتمام بها سيؤدي إلى تفسير غير كامل للقرآن. يهدف هذا البحث إلى اكتشاف غرض هذه السورة وتحقيقه بطريقة منهجية بناء على سياق آيات سورة المائدة وفي الوقت نفسه، يدرس ويستكشف أهم المعايير الداخلية لهذه السورة من أجل معرفة المحور الرئيسي لسورة المائدة.

إنّ سورة المائدة المباركة هي السورة الخامسة في القرآن التي أتت بعد سورة النساء. لكنها في ترتيب النزول هي آخر سورة نزلت على قلب الرسول الكريم ﷺ وهي نزلت بعد سورة الفتح. يرى معظم المفسرين وعلماء القرآن أنّ مكان نزول السورة هو المدينة المنورة،

إلا أن الآية الثالثة استثنتها، ويعتقدون أنّ هذه الآية نزلت في حجة الوداع بين مكة والمدينة.

يقول العلامة الطبرسي: "يذهب جماعة ومنهم ابن عباس إلى أنّ هذه السورة نزلت على قلب النبي بالمدينة المنورة، ولم تنزل عليه إلا الآية الثالثة منها في سفر النبي صلى الله عليه وسلم الأخير إلى بيت الله الحرام، وهو ما يعرف بحجة الوداع، وكان النبي راكبا راحلته بين مكة والمدينة.» (الطبرسي، ٥١١/٣)

نزلت سورة المائدة المباركة في وقت لم يكن فيه خبر عن فوضي المشركين وإيذاءاتهم وعذاباتهم، وامّحت قدراتهم وتهدّمت عبادة الأصنام والشرك ومرت فترة ضعف الإسلام والمسلمين ووصلوا إلى السلطة حيث فتحوا مكة المكرمة بسلطان وأدوا مناسك الحج في سلام وأمان. في هذه السورة تم الحديث عن الشرك وعبادة الأصنام على شكل المحاجة والاستدلال وتخطئة أفكارهم وتحقيرهم، ولم يرد فيها أي ذكر للأمر بالقتال ووضع خطط للتغلب على المشركين والانتصار عليهم؛ لأنّ المسلمين لا يحتاجون إلى هذه الأشياء في هذا الوقت وذلك لأن المشركين قد أصبحوا ضعفاء ومعزولين، وأصبحت السلطة والشرف للمسلمين. من ناحية أخرى، يعيش فريق من أهل الكتاب تحت ذمّة المسلمين. لهذا السبب فإن سورة المائدة المباركة، بالإضافة إلى تشريعها لعلاقات المسلمين مع بعضهم البعض، تتناول أيضًا مسألة التشريع لسلوكهم وعلاقاتهم مع أهل الكتاب.(الزحيلي، ٦١/٦) لقد حاول هذا البحث دراسة طرق اكتشاف مقصد سورة المائدة من آراء الفريقين، ومن خلال هذه الأساليب تم اكتشاف المقصد الأساسي لسورة المائدة والتعريف به.

خلفية البحث:-

وفقا للبحوث التي تتعلّق بخلفية هذا البحث، لم يتم حتى الآن إجراء بحث مستقل فيما يتعلق بالسياق والمعايير الداخلية لمعرفة السورة حول اكتشاف الغرض من سورة المائدة، لذلك يمكن أن نعتبر هذا البحث ذا منهج مبتكر ومبدع، يمكن أن يكون في سور قرآنية أخرى أساساً لاكتشاف المحور الرئيسي للسور.

منهج البحث:-

منهج البحث هو الوصفي التحليلي أي في البداية يتمّ جمع الآيات المتعلّقة بالموضوع ثم

يتمّ تفسيرها ودراستها وفي النهاية تذكر نتائج البحث وتبيّن أساليب الفريقين المستخرجة في اكتشاف بنية سورة المائدة وغرضها اكتشافاً استدلالياً.

وجهات نظر الفريقين حول هدف سورة المائدة

قد أبدى بعض المفسرين آراء في مقصد سورة المائدة، نعرضها في هذا الجزء من البحث.

١. الوفاء بالعهد

يقول العلامة الطباطبائي عن غرض سورة المائده: «الغرض الجامع في السورة على ما يعطيه التدبُّر في مفتتحها ومختتمها، وعامة الآيات الواقعة فيها، والأحكام والمواعظ والقصص التي تضمنتها هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأن عادته تعالى جرت بالرحمة والتسهيل والتخفيف على من اتقى وآمن ثم اتقى وأحسن، والتشديد على من بغى واعتدى وطغا بالخروج عن ربقه العهد بالطاعة، وتعدّى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين.» (الطباطبايي، ١٥٧/٣) يحاول الدكتور محمود بستاني أيضًا خلق هدف واحد وبنية واحدة لجميع سور القرآن، تكون فيها جميع آيات تلك السورة، على الرغم من أنها تتبع هدفًا ما، جزءًا كبيرًا من الهدف العام للقرآن. يكتب أيضًا عن هذه السورة: سورة المائدة من أطول سور القرآن، وفيها مواضيع متنوعة لكن جميع مواضيعها المختلفة تدخل بطريقة أو بأخرى في بناء البنية الفنية المتينة للسورة، وكل مواضيعها ستعود في النهاية إلى موضوع واحد، وهو العهد مع الله عز وجل.(البستاني، ٣٧٣/١)

يقول محمود شلتوت أيضاً في بيان "مجمل مقاصد سورة المائدة": إن السورة من أولها إلى آخرها مبنية على حرفين واضحين وهما:

- حث المؤمنين على الالتزام بالعقود والعهود والمواثيق، وتحذيرهم من مغبة التقصير في الإهمال بالعهد.
- توبيخ أهل الكتاب بسبب نقض العهد والميثاق بينهم وبين الآخرين، وبين أنفسهم وبين الله حيث كان هذا النقض ديدنتهم. إنّهم كانوا ينقضون العهد بينهم، ويحرّفون كتاب الله ويخونون رسول الله.(شلتوت، ٢٦١)

٢. النمو الفكري

يعبر السيد محمد حسين فضل الله عن غرض هذه السورة: "إن غرض هذه السورة، كغيرها من سور القرآن، هو التطور الفكري والروحي والعملي للإنسان المسلم على الصعيد الشخصي والاجتماعي. تهدف هذه السورة إلى رسم خطوط إسلامية عامة لتفاعل الناس مع بعضهم البعض ومع الله. كما ورد في هذه السورة المنهج الإسلامي للقواعد العامة التي تنظم الفرد والمجتمع، وتمّ قيام الحياة الإسلامية على الفكر الإسلامي والعقيدة والشريعة.»(فضل‌الله، ٩/٨)

٣. تنظيم المجتمع

قال سيد قطب: «نجد في هذه السورة - كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها - موضوعات شتي؛ الرابط بينها جميعا هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع؛ على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد.».(سيدقطب، ٨٢/٢)

٤. الخروج من الفسق

تعبر سورة المائدة عن الفسوق التي تقود صاحبها إلى الكفر والنفاق، وتعبّر أيضاً عن المعاني التي يعني تحقيقها الخروج من الفسق والتحلي بالتقوى.(حوي، ١٢٩٣/٣)

المواضيع العامة لسورة المائدة:

فيما يتعلق بالمواضيع العامة لسورة المائدة يمكن القول إنّ هناك مسائل تتعلق بالتعبير عن سلسلة من التعاليم والمعتقدات الإسلامية: الإشارة إلى خلافة الإمام علي عليه السلام بدلاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الآيتان ٣ و ٦٧). وفيما يتعلق بالبعث (الآية ١٠٩)، هناك إشارة إلى ثالوث النصارى (الآية ١١٦). كما تمّ ذكر قصص أخرى نحو: قصة بني آدم عليه السلام ومقتل هابيل على يد قابيل (الآيات ٢٧-٣١)، وقصة تشريد بني إسرائيل في الصحراء، وقصة موسى عليه السلام (الآيات ٢٠-٢٦) وقصة مائدة عيسى السماوية عليه السلام ومصيره (الآيات ١١٠-١١٩). إلى جانب هذه الحالات هناك أحكام وشرائع كثيرة، مثل: حرمة الخمر والميسر (الآية ٩٠)، وقسم من أحكام الوضوء والتيمم (الآية ٦)، وبيان جزء من أطعمة الحلال والحرام (الآيات٣-٥)

وضرورة الوفاء بالعهد (الآية ١) وضرورة الشهادة بالعدل (الآية ١٠٦-١٠٨).

الكشف عن هدف سوري المائدة من خلال السياق:

لقد اهتم المفسرون والعلماء في علوم القرآن دائماً بقيمة وأهمية معنى السياق في الفهم الصحيح للآيات القرآنية. السياق هو مجموع القرائن والعلامات التي تؤثّر في إعطاء المعنى للكلمات والجمل؛ سواء كانت هذه العلامات لفظية أم مستمدة من مواقف وعلاقات المتكلم الزمانية والمكانية.(كوثري، ٢١) وقيل في تعريف آخر: «السياق هو صفة الكلمة أو العبارة أو الكلام، والتي تتكون نتيجة ارتباطها بالكلمات والعبارات.» (بابايي، ١٢٧)

وفقاً للتعريفات المذكورة أعلاه، فإن تسلسل الألفاظ والكلمات في الجملة له علاقة وثيقة وقوية بالسياق، ومن خلاله يمكن اكتشاف المقصد الرئيسي. يعتقد فخر الدين الرازي أنّ أعظم دقائق القرآن تكمن في ترتيب الآيات وعلاقاتها.(الفخر الرازي، ١١٠/١٠) كما ذكر صاحب الميزان أنّ السياق أقوى وأبلغ سبب للتعبير عن المعنى والفهم الصحيح لمراد المتكلم؛ لذلك اهتمّ تفسير الميزان بهذا الأمر اهتماماً شديداً ويظهر دوره بوضوح في كثير من حجج مفسره واستنتاجاته.(الطباطبايي، ١٩/١)

يرى الزركشي أنّ معنى السياق يساعدنا في بيان المجمل واليقين من عدم وجود احتمال الخلاف وتخصيص العام والتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أكبر القرائن التي تنقل المعنى عند المتكلم ومن أهمله فإنه يخطئ في حالات متشابهة.(الزركشي، ٣٣٥/٢) على الرغم من إمكانية استخدام دلالة السياق في أي نوع من النصوص، إلا أن تطبيقه مؤثّر جداً في تفسير القرآن وفهم معاني الآيات واكتشاف بنية السورة. بناءً على سياق سورة المائدة، تنقسم موضوعات هذه السورة إلى ٩ أقسام، يتم عرضها على شكل الجدول التالي:

المسلسل	رقم الآيات في كل مجموعة	نقاط التركيز
١	الآيات ١ إلى ١٤	الاهتمام بالوفاء بالوعد
٢	الآيات ١٥ إلى ٣٤	دعوة أهل الكتاب إلى رسالة النبي ﷺ، وإتمام الحجة على متابعته، والتحذير من مخالفته، وبيان الآثار السيئة الناتجة عن نقض العهد.
٣	الآيات ٣٥ إلى ٤٠	مراعاة التقوي في القيام بالتعاليم الدينية
٤	الآيات ٤١ إلى ٥٠	إزالة القلق والخوف من النبي والدعوة إلى الحكم الولائي والقضائي بما أنزل الله.
٥	الآيات ٥١ إلى ٥٨	تحذير المؤمنين من جعل أهل الكتاب أولياء وتشجيعهم على قبول أولياء الله
٦	الآيات ٥٩ إلى ٦٩	تهيئة النبي والأمة لإقامة مرسوم إعلان الولاية
٧	الآيات ٧٠ إلى ٨٦	بيان سبب قبول الولاية من قبل أهل الكتاب عن أسلافهم الكفار

٨	الآيات ٨٧ إلى ١٠٨	دعوة المؤمنين إلى اتباع القواعد المبنية على الوصايا النبوية، وفلسفة وجود الكعبة، والأمر بإقامة التوراة والإنجيل.
٩	الآيات ١٠٩ إلى ١٢٠	الأمانة الكاملة لأنبياء الله والرسل في تبليغ رسالة الله وتقصير الناس في حمايتها

إليكم شرح كل سياق من السياقات المستخرجة:

السياق الأول: في هذا السياق تم تصوير الاهتمام بأمانة العهد الإلهي في تنفيذ الأحكام الإلهية في ظل ولاية الحاكم الإلهي وآثاره الدنيوية والأخروية، والتعبير عن نقض العهد لليهود والنصارى.

السياق الثاني: من المواضيع التي تمت مناقشتها في هذا السياق هي: من الناحية البنيوية دعوة أهل الكتاب إلى رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه بوصفه اتمام الحجة والتحذير من مخالفة النبي ﷺ والتعبير عن آثار نقض العهد.

السياق الثالث: يأتي في هذا السياق التعريف بالأحكام الإلهية والأمر بتنفيذها من خلال التقوى في ضوء الانتباه بعلم الله وقدرته.

السياق الرابع: تنبني بنية هذا السياق على أن الآيات التي جاءت مجتمعة تتضمن إزالة هموم رسول الله ﷺ والدعوة إلى الحكم الولائي والقضائي وفق ما أنزل الله وتقديم المنافقين اليهود وفتنتهم، وأعذار هذه الفئة للأحكام الإلهية.

السياق الخامس: بشكل عام، هذا الجزء من سورة المائدة يحذر المؤمنين من جعلهم أهل الكتاب أولياء والدعوة إلى قبول أولياء الله.

السياق السادس: أشارت بنية هذا السياق إلى أنّ الآيات تدل على إعداد رسول الله ﷺ والأمة للتواصل والتبليغ وإثبات الحكم الولائي في مقابل الانتقام من أهل الكتاب وتمرّدهم.

السياق السابع: عدم الإيمان بالله ورسوله وما أنزل عليهم، وسبب تولى أهل الكتاب عن أسلافهم الكفار؛ بمعنى آخر، نقد الإفراط والتفريط الاعتقادي والسلوكي لأهل الكتاب في هذا السياق.

السياق الثامن: في هذا السياق بشكل عام هناك حديث عن دعوة المؤمنين إلى اتباع الأحكام وفقاً لقول الرسول الأكرم ﷺ.

السياق التاسع: في السياق الأخير من سورة المائدة المباركة، بعد ذكر الأحكام المتعلقة بالاستشهاد بطريقة جميلة جداً، يدور الحديث حول شهادة الأنبياء الإلهيين في المحشر ومن بين هؤلاء الأنبياء كلهم يتوجه الكلام إلى عيسى عليه السلام. الإشارة إلى يوم القيامة بالاعتماد على شهادة الرسل على أفعال الناس وضميمتها بقصة نزول المائدة بوصفها بركةً تتم بواسطتها الحجة على النصارى. وبعد ذلك التخطي عن فرامين الله يقابلها عقابه، وكأن في آخر الآيات التي نزلت في هذه السورة يتم تحذير المسلمين من العقوبة الإلهية التي ستحل بهم بعد نقض عهوده وعدم حفظها؛ حتى يعلم الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهد على أفعالهم في مواجهة الإسلام وأهم ميثاقه أي الولاية.

الكشف عن مقصد سورة المائدة من خلال العناصر النصية:

لكل سورة روح وطابع خاص يقوم بانسجام جميع عناصر النص وينظمها للوصول إلى غرض السورة. تدل التحقيقات على أن بعض عناصر السورة موجودة داخل النص مما يقدّم كل عنصر من هذه العناصر غرض السورة. فيما يلي توضيح لأهم العناصر الموجودة في نص سورة المائدة والتي تتناغم مع غرض السورة:

١. الآيات الابتدائية والانتهائية للسورة

من الأساليب التي يستخدمها المفسرون لاكتشاف معنى سورة من سور القرآن استخدام بداية الآية وخاتمتها وفهم العلاقة بينهما. بعد دراسة الآيات الافتتاحية لسورة المائدة يتبين أنّ هذه السورة تبدأ بخلفية ضرورة الوفاء بالعقود: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائده/١) ومن أوضح أمثلتها هي العهد، والوفاء بولاية أهل البيت وإمامتهم خاصة على عليه السلام، كما أنّ الوفاء بالتوحيد وقبول النبوة يعد من أمثلتها الأخرى. إنّ موضوع الوفاء بالعهد في نهاية هذه السورة جاء باعتبار «ردّ العَجُز إلى الصدر»: يخاطب سيدنا المسيح عليه السلام الله قائلاً: إنني وفيت بعهدي وما قلت للناس إلا ما أمر به الله.(جوادي آملي، ٤٨٨/٢١) في هذه السورة هناك تناسب بين افتتاح السورة واختتامها: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ﴾ (المائدة/١) يذكر الله تعالى في بداية هذه السورة النعم التي هي نموذج لملكية الله المطلقة وقدرته اللانهائية ويذكر

أن الله تعالى يقضي ما يشاء وهذا يدل على قدرته اللانهائية. في خاتمة السورة تم تصوير ملكيته المطلقة وقدرته اللانهائية: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة/١٢٠) وقوته اللامتناهية هي التي يسبب أن يكون الحكم بيده في الدنيا (أول السورة) وفي الآخرة وإنّه يحكم بالحق (نهاية السورة) كما هو من كرامة طبيعته المقدسة: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة/١١٨)؛ يقول العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: الغرض الجامع في السورة على ما يعطيه التدبر في مفتتحها ومختتمها، وعامة الآيات الواقعة فيها، والأحكام والمواعظ والقصص التي تضمنتها هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأن عادته تعالى جرت بالرحمة والتسهيل والتخفيف على من اتقى وآمن ثم اتقى وأحسن والتشديد على من بغى واعتدى وطغا بالخروج عن ربقة العهد بالطاعة، وتعدى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين. (الطباطبايي، ٢٥٣/٦)

إنّ الآية الأخيرة من هذه السورة، والتي هي كغيرها من السور هي نتيجة السورة وخاتمتها، لها رسالة ينبغي الاهتمام بها. يؤكد حسن ختام هذه السورة على مسألتين: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائده/١٢٠)؛ بما أن محور سورة المائدة الرئيسي هو العهد الذي يقطعه المؤمن مع ربه، يجب أن نري ما العلاقة بين آياتها الافتتاحية والختامية؟ في الرد على ذلك ينبغي القول: إن بعدي الملكية والنفوذ، وكلاهما مستتران في معنى كلمة "الملكية"، يكملهما بعد ثالث يسمى "القوة" التي إذا توفرت في المدير هذه الشروط الثلاثة، ولا يمكن للعملاء الخاضعين لقيادته أن ينقضوا "العهد" الذي قطعوه. إن مفتتح سورة المائدة ومختتمها يعلم الإنسان هذه الحقيقة، وهي أنّ كل تلك النعم لله وهي في يده وسيطرته وله اختيار للاستفادة منها قهراً ولذلك ينبغي في استعمال تلك النعم اتباع أمر الله، واستخدام كل منها في مكانها وفي حدودها، واحترام حلال الله وحرامه، والعهود الإلهية والإنسانية في المجتمع الإسلامي. (هاشمزاده هريسي، ص١٦٤)

٢. الاسماء الحسنى في سورة المائدة

من أحد أساليب المفسرين في اكتشاف مقصد السورة من خلال تحليل العناصر النصية

هو كيفية استخدام الأسماء الإلهية والنسبة الإحصائية المتعلقة بها. إنّ هذه الأسماء التي تستخدم فيما يتعلق بالمحتوى والموضوع المركزي لكل سورة وتأثيراتها التربوية والإرشادية، هي دليل مفيد للغاية لفهم الغرض من السور. في سورة المائدة المباركة ذكرت الأسماء الإلهية نحو: «الله، غفور، رحيم، عليم، خبير، قدير، عزيز، حكيم، بصير، سميع، رازق، علام الغيوب، عزيز». الدقة في جميع أسماء الله الحسنى في سورة المائدة تدل على أن آيات هذه السورة تدور حول التوحيد؛ أي أنّها تشير إلى وحدانية الأصل، والخالق والرب والإله والمعبود فلا حاكم في العالم سواه. (جوادي آملي، ٤٨٦/٢١) لذلك فإن الله وحده هو الذي يحدد الحاكم والولي الإلهي. بشكل عام فإن كثرة استخدام اسم الله الذي تكرر ١٤٧ مرة في هذه السورة يدل على توجه السورة في مجال الألوهية، وهو موجه بشكل رئيسي إلى المؤمنين و في زلات الأخلاق والعمل في الوفاء بالعهد الإلهي ينبههم إلى عظمة موقف الله. إنّ أسماء الغفور والرحيم، والعزيز والحكيم، والعليم والبصير، كل واحد منها يدل على ركن من أركان العفو والمغفرة، وشرعية الوجود الحكيمة، ومعرفة الله على دقائق شؤون الإنسان وأفعاله. (بازرگان، ١٢٦) حيث يشير استخدامها في هذه السورة إلى معرفة الله بالقوانين والمواثيق الإلهية وتفاصيل سلوك ناقضي العهود وأفعالهم. إنّ الغفور: من مادة "غفر" يعني في الأصل الستر والإخفاء، وغفر الله ذنوبه؛ أي ستر ذنوبه ولم يكشفها للناس، والإصلاح هو من معاني الغفر الأخرى.(الطريحي، ٤٢٧/٣) والرحيم من مادة «رحم» يعني الرحمة والحنان وهو من أسماء الله الحسني.(الفراهيدي، ٢٢٤/٣) ذكر هذان الاسمان أربع مرات في الآيات ٣ و٣٩ و٧٤ و٩٨. قال الله تعالى في إحدى هذه الآيات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائده/٣)؛ فذكر الاسمين الإلهيين أي الغفور والرحيم بجانب بعضهما يدل على أنّ أساس دين الإسلام هو توفير الراحة وتيسير الحياة وتوجيه مصالح الإنسان، وقواعد الإسلام لا تقوم على المشقة أبداً.(حسيني همداني، ٣٤٠/٤) إنّ صفة المغفرة ومثلها الرحمة كما تتعلق بالمعاصي

المستوجبة للعقاب كذلك يصح أن تتعلق بمنشئها، وهو الحكم الذي يستتبع مخالفته تحقق عنوان المعصية الذي يستتبع العقاب.(الطباطبايي، ١٦٣/٥) في هذه الآية، على الرغم من أنّ الله قد تحدث في بداية الكلام عن حلال الله وحرامه فيما يتعلق بالأكل، إلا أنه فتح أيضًا الحل للإنسان، وإذا كان الإنسان في حالة طارئة ويعمل ضد أمر الله، فسوف يغفر له الله وفيما بقي من الآيآت تمّ ذكر تحذير الله واعتبرت التوبة والاستغفار مجالاً لمغفرة الله. من الواضح أن الانحراف في العقيدة أخطر من الانحراف في العمل. مع ذلك فقد فتح الله لهم باب المغفرة والرحمة، وإذا تخلوا عن عقيدتهم غفر الله لجميع انحرافاتهم الفكرية والعملية. (فضل‌الله، ٢٨٦/٨) كما يتبين أنه في بناء الآية ورد لفظ الاستغفار والتوبة. «التوبة تعني ترك ما هو في المستقبل والرجوع إلى الإيمان الصحيح. الاستغفار يعني طلب المغفرة عما فعلوه في الماضي والندم على عقائدهم السيئة.» (ابن‌عاشور، ٧٤/٥) على كل حال، بعد هاتين المرحلتين، يصوّر الله نهاية الآية هكذا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ؛ أي أن الله تعالى يبالغ في عفوه، فكلما استغفروا يغفر لهم وينعم عليهم من فضله.(حقي بروسوي، ٤٢٣/٢) بحسب الآيات المذكورة فإنّ تغاضي الله عن مثل هذه الذنوب الجسيمة في ظروف معينة يدل على شدة رحمة الله بعباده. إنّ المسلّم به أنّ المغفرة وستر الرحمة لأصحابها مشروطة بترك الذنوب المذكورة وعدم تكرارها وتصحيح ما ارتكبوه من مفاسد وفظائع في حق أنفسهم أو غيرهم. إنّ مغفرة الله ورحمته لن تشملا إلا هذه الفئة.

"القدير" أيضًا يعني "القوي" وهو من الأسماء الحسني.(الراغب الأصفهاني، ٦٥٨؛ الطريحي، ٤٤٩/٣) أخذت مادة هذه الكلمة من «القدر» وهو يعني مقاس الشيء وغايته. استعملت هذه الكلمة في الله لأنه يفعل ما يشاء مهما كان قدره، ويعطي ما يشاء لعباده.(ابن فارس، ٦٢/٥) لقد جاءت صفة «القدير» في القرآن الكريم ٤٥ مرة. تمّ ذكر هذه الكلمة في سورة المائدة ٤ مرات في الآيات: ١٧، ١٩، ٤٠ و ١٢٠ يقول الله تعالى في هذه السورة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.... وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة/١٧)؛ في بداية الآية يذكر اعتقاد المسيحيين الخاطئ، وهو مستمد من جهلهم. الحقيقة أنّ من الأسباب الرئيسية للكفر والشرك هو الجهل بعظمة الله وعدم الاعتراف بسلطانه الواسع وملكوته العظيم. لذلك كلما ورد في القرآن حديث عن الشرك ذكرت قدرة الله وعظمته

ليزيل أهم سبب للشرك من قلبه.(المدرسي، ٢٩٧/٢) إنّ نهاية الآية وختامها بالصفة "القدير" في الواقع تشير إلى أنّ الله تعالى قادر على كل شيء، فهو يخلق من العدم، كما خلق السماوات والأرض. فيخلق من مصدر مثل ما بينهما، ثم يخلق من مصدر ليس من نوعه مثل آدم عليه السلام وغيره من الحيوانات ومن مصدر مثله، أو من ذكر وحده كما خلق حواء، أو من أنثى وحدها كعيسى عليه السلام، أو من كليهما؛ مثل الآخرين.(الكاشاني، ٢٣٨/٢) إنّ الله هو الحاكم بلا منازع على عالم الخلق، والسبب في خلق المسيح بدون أب وهو ضد قواعد الطبيعة المعتادة هو أنّ الله خلق هذه القوانين، لكنه هو نفسه لا يدان بهذه القوانين، وهو يخلق كيف يشاء، وهو على كل شيء قدير.(جعفري، ١٠٢/٣) تجدر الإشارة إلى أن سلطنة الله وسيادته المطلقة ترتبط في هذه الآية بمفهوم قدرته اللانهائية، وهي إشارة إلى أن سبب احتكار حق السيادة في جوهره المقدس هو احتكار القوة الأبدية والحقيقية في يده.

٣. الكلمات الأكثر شيوعاً

من الأساليب التي استخدمها المفسرون لاكتشاف معاني السور القرآنية هو دراسة الكلمات المتكررة في السورة. يعد التكرار إحدى المحسنات البلاغية للنصوص الأدبية، والتي تستخدم بهدف التأثير الأكبر والتأكيد على المفاهيم المنشودة لدى مؤلف النص. لا شك أنّ تكرار اللفظ في السياق القرآني له دلالات خاصة، وبالدقة في هذا الأمر يمكن اكتشاف مراد الله. في سورة المائدة أشارت عدة كلمات بشكل مباشر أو غير مباشر إلى مسألة النعم. بمعنى آخر، النعمة كلمة تكررت في هذه السورة عدة مرات. ومنها: النعمة: عشر مرات، الطيب: خمس مرات، الطعام أو الصيد الحلال: سبع مرات، الصيد: ست مرات، الرزق: ثلاث مرات، الحظ: مرتين، مائدة: مرتين، فعل أكل (وهو مرتبط بالتنعم من النعم): تسع مرات. تتعلّق هذه الكلمات بالنعم المادية، ولكن من الواضح أنه من وجهة نظر القرآن الكريم، وخاصة سورة المائدة، فإن مفهوم النعمة في القرآن الكريم هو نعم مادية وروحية. على سبيل المثال يقدّم الله في هذه السورة الهداية (الآية ٢٣) والنبوة (الآية ١١٠) والأمن (الآية ١١) والحاكم العادل (الآية ٢٠) نعماً. على الرغم من أنّ الله يشير إلى النعم الحسية منها الأطعمة والأزواج إلا أنّه يذكر النعم الروحية كالطهارة والهداية والأمن أيضاً وبسببها يمنّ على الإنسان. من ثَمّ، إذا احتسبنا النعم الروحية فيزيد عدد الكلمات المفتاحية

الدالة على النعم. على سبيل المثال وردت الهداية ١٣ مرة والطهارة ١٢ مرة وعلي المجمل تمّ استخدام الكلمات المفتاحية الدالة على النعمة أكثر من ٧٦ مرة في هذه السورة.

من المواضيع الأساسية في هذه السورة مسألة الحكم وصفات الحاكم وواجب الناس تجاه الحاكم. إنّ الكلمات المفتاحية التي تشير إلى هذه المسألة تشتمل على: الملك تسع مرات، والتبعية أربع مرات، والحكم تسع عشرة مرة، والأمر ثلاث مرات، والولي إحدي عشرة مرة، والقدرة خمس مرات والتأسّي مرتين والشريعة والمنهاج مرة واحدة. في المجمل العام ينبغي القول إنّ الكلمات المفتاحية الدالة على الملك استخدمت حوالي ٥٤ مرة في هذه السورة، واستخدام هذه الكلمات المفتاحية ودقتها في محتوى سورة المائدة يدل على أنّ الله في هذه السورة حدد خصائص الحاكم وواجبات الناس عليه. قد أورد الله في سورة المائدة بعض الصفات الضرورية للحاكم، على الرّغم من أنّ هذا الكلام لا يعني ذكر جميع الصفات والشروط؛ وربما، في فترات زمنية مختلفة، وفي مجتمعات وأماكن مختلفة، تكون هناك حاجة أيضًا إلى خصائص أخرى.

الجزء الثالث من الكلمات الأكثر شيوعاً يتعلق بالعهد والميثاق؛ ومن هذه الكلمات: الميثاق: ست مرات؛ الشهادة: اثنتي عشرة مرة؛ العقد: مرتين؛ الأيمان: سبع مرات؛ القسط: ثلاث مرات؛ العدل: خمس مرات؛ القسم: أربع مرات؛ حفظ الأيمان _ الحلف: مرة واحدة. مقابل العمل بالعهد فقد استخدمت كلمة الارتداد: ثلاث مرات، والنقض: مرة واحدة. وإجمالاً، فقد وردت هذه الكلمات الدالة على مفهوم الاتفاق والميثاق في سورة المائدة حوالي ٤٣ مرة. تجدر الإشارة إلى أنّ واجبات الناس أمام نعمة الحاكم الصالح تتجلى من الدقة في بعض آيات سورة المائدة. من هذه الواجبات يمكن أن نذكر التقوى، والوفاء بالعهود، وطاعة الأحكام الشرعية، وشكر النعمة، وطاعة الحاكم وعدم الغلوّ، والتجنب عن الكبر، وعدم الحسادة، والبصيرة. من بين هذه الواجبات المذكورة، فإن الوفاء بالعهد والالتزام بالأحكام الشرعية في غاية من الأهمية في هذه السورة. قد حذر الله تعالى الناس عدة مرات في هذه السورة من الغلو في أوليائهم المعصومين - مثل عيسى عليه السلام ورسول الله ﷺ في الآيات ٧٥ و ١١٦ و... لأن هذه المسألة من أهم أضرار الحكومة الدينية. إن الغلوّ، حيث لا يقوم الله بجعل الحاكم مباشرة، ستؤدي إلى ضرر أخطر بكثير.(حاجي-

زاده و ديگران، ١١١) من الأمور الأخرى التي أوجبها الله على الأمة الإسلامية أن يطيعوا الحاكم طاعة تامة، ويجب ألا يطيعوا إذا كان حكم الحاكم لهم، وأن يعصوا إذا كان في غير صالحهم: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائده/٧٠)؛ إنّ هذه القضية هي أيضاً من أكبر أضرار الحكومة الدينية. لذلك، كما يتبين، ذكر الله في السورة الأخيرة من القرآن أيضًا أهم قضية في المجتمع الإسلامي وهي شروط الحاكم وواجبات الناس أمامه.(حسيني و برزمند، ١٠٠) بعد التحليل الكمي للكلمات المستخدمة في هذه السورة، يمكن استنتاج أنّ الغرض الذي يمكن، مثل سلسلة التسبيح، أن يربط حلقات مواضيع مختلفة من سورة المائدة في محور واحد، هو التعبير عن النعم الإلهية. على الرغم من أنّ النعمة في القرآن تشير إلى النعم المادية والحسية أيضا، إلا أن البحث عن تطبيقاتها في القرآن يدل على أنّ أعلى وأهم نعمة من وجهة نظر القرآن هي نعمة الولاية، و وهذه النعمة هي نفس النعمة التي ستسأل عنها يوم القيامة.(المجلسي، ٢٤/٥٨) في الرسم البياني الذي سيأتي، سيتم دراسة تكرار الكلمات التي تشير ضمنا إلى مفهوم النعمة والميثاق والمفاهيم الأساسية الأخرى. ويشير التحليل الكمي للكلمات الأكثر شيوعاً في هذه السورة إلى أنّ غرض السورة مرتبط بالنعمة والمسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان بعدها.

تواتر الكلمات بناء على تكرار كلمات السورة

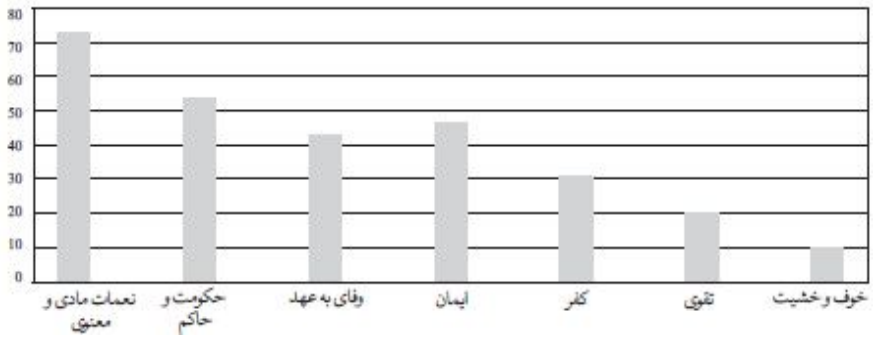

٤. الكلمات التي استخدمت مرة واحدة

من مظاهر القرآن الجميلة هي أنّ لفظه الواحد أحيانا يخلق مفهوماً وصورة واضحة

وبديعة، ويتضمن في مفرداته معنى واسعاً لا يختلف عن جوهر السورة.(معتمد لنگرودي و رضي بهابادي، ٨٨) في سورة المائدة، بالإضافة إلى الكلمات الأكثر شيوعاً، هناك كلمات وعبارات تستخدم فقط في هذه السورة مقارنة بسائر سور القرآن ولها ارتباط كبير بهدف السورة. كلمة "مائدة" المذكورة في الآيتين ١١٢ و ١١٤ من سورة المائدة هي من الكلمات ذات الاستعمال الواحد. قال الحواريون: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (المائدة/١١٢)؛ قال سيدنا عيسى عليه السلام لله: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة/١١٤)، أرسل الله المائدة في ظروف صعبة، ولهذا سميت هذه السورة المباركة بالمائدة.

والمائدَةُ في اللغة الطَّبَق الذي عليه الطَّعام، ويقال لكلّ واحدة منها. وفي الأصل مأخوذة من مادة «ميد» أي اضطرابُ الشيء العظيم كاضطراب الأرض ولعل معنى المائدة والطعام لما يحدث فيه من نقل.(الراغب الأصفهاني، ٣٧٩) واعتبر الطريحي أنّ "مائدة" عربية ومأخوذة من أصل "ماد يميد" أي "معطى" واعتبرها وزن الفاعل الذي بمعنى المفعول، وقال: "مائدة" هو طعام، شيء يؤكل، الطَّبَق الذي عليه الطَّعام، ويقال لكلّ واحدة منها وسبب تسميتها يعود إلى أنّه يمكن رؤية نوع من الحركة والتموج فيها.(الطريحي، ١١٣/٧) في قصة «مائدة» يأخذ سيدنا عيسى عليه السلام الحواريين بأن «يكونوا أنصار الله إلا أنّهم يطلبون من السيد المسيح مائدة من الطعام التي تدل على علامة الإعجاز واللطف الإلهي الخاص بهم ويؤدّي إلى إطمئنان قلوبهم. قال الله تعالى: إني منَزِّل مائدة الطعام عليكم، فمن يجحد منكم وحدانيتي ونبوةَ عيسى عليه السلام بعد نزول المائدة فإني أعذبه عذابًا شديدًا، لا أعذبه أحدًا من العالمين. وقد نزلت المائدة كما وعد الله. لذلك فإن تلك المائدة هي أيضاً رمز للالتزام الذي قبله الحواريون أمام النعم الإلهية من أجل التمسك بالولاية الإلهية للمسيح.»(خامه‌گر، ٣٩)

تحتوي هذه السورة على سلسلة من التعاليم والمعتقدات الإسلامية وسلسلة من القواعد والواجبات الدينية. في الجزء الأول تمت الإشارة إلى مسألة الولاية والقيادة بعد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ومسألة ثالوث النصارى، وأجزاء من المسائل المتعلقة بالقيامة والبعث والسؤال عن الأنبياء في شؤون أممهم وفي الجزء الثاني تمت الإشارة إلى مسألة الوفاء بالعهود، والعدالة الاجتماعية، والاستشهاد بالعدل، تحريم القتل بالنفس (وفيما يتعلق بذلك قصة بني آدم

ومقتل هابيل على يد قابيل)، وشرح أجزاء من أطعمة الحلال والحرام وجزء من أحكام الوضوء والتيمم.(نجفي خميني، ٨٨/٤) إنّ الغرض العام من هذه السورة هو الدعوة إلى الوفاء بالعهد ومراعاة بيانات الحق مهما كانت، وفيها تهديد شديد لمن ينقضون عهود الحق ولا يلتفتون إليها، وذلك ومن عادة الله عليهم الرحمة بأهل الإيمان والتقوى والعمل الصالح والإحسان والرحم معهم والتعزز مع أهل التمرد والعدوان وناقضي العهود. ولذلك نرى أن السورة تحتوي على كثير من أحكام الحدود والقصاص، وبعض القصص مثل قصة المائدة وسؤال عيسى.(القرشي، ٦/٣) إنّ عبارة ﴿اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ هي عبارة تم طرحها مرة واحدة في هذه السورة. بهذه الجملة القصيرة أعطى القرآن الفضل والشرعية والقوة للعقود والاتفاقات، وأوضح وحدد واجب الناس تجاه عقودهم واتفاقاتهم. يقول العلامة الطباطبائي: ولما كان العقد - وهو العهد - يقع على جميع المواثيق الدينية التي أخذها الله من عباده من أركان وأجزاء كالتوحيد وسائر المعارف الأصلية والأعمال العبادية والأحكام المشروعة تأسيساً أو امضاء، ومنها عقود المعاملات وغير ذلك، وكان لفظ العقود أيضاً جمعاً محلى باللام لا جرم كان الأوجه حمل العقود في الآية على ما يعمّ كل ما يصدق عليه أنّه عقد.(الطباطبايي، ١٥٨/٥) قال المفسرون من السنة: العقود هي تلك العهود التي قطعها الله مع عباده؛ ما هو حلال وما ليس حراما.(المراغي، ٤٣/٦) ومما ذكره المفسرون حول كلمة "العقد" وبعد دراسة آيات السورة يتبين أنّ جزءاً من تعاليم هذه السورة يقوم على الوفاء بالعهد، ولهذا السبب فمن الضروري أن توضع في بنية هذه السورة هذه العبارة حتى يتمكن الله من التعبير عن المعنى من خلالها وتذكير الجمهور بعهد مهم مثل الولاية وتذكيرهم بالوفاء بهذا العهد. بناءً على ذلك، فإنّ هذه الكلمات والعبارات ذات الاستخدام الواحد تكون أيضًا مبنية على محور الالتزام بالعهد، والنهي عن نقض العهد.

٥. قصص السورة

من أدوات القرآن المؤثرة لفهم أهدافه وغاياته السامية، هي التعبير عن الحقائق والأحداث التاريخية وإعادة سردها في شكل قصص ورواية، ومن خصائص القصص القرآنية توازيها مع محتويات السورة والهدف الرئيسي منها. قد أشار باحثو القرآن الذين اهتموا بوحدة غرض السور، ودرسوا قصص القرآن من هذا المنطلق، إلى وجود علاقة ذات معنى

وقوية بين طريقة صياغة القصص والغرض من السورة، واعتبروها من عوامل سحر التعبير القرآني ولطافته. على سبيل المثال إنّ البقاعي الذي يعتقد بترابط الآيات اعتقاداً شديداً وكتب تفسيره المسمي بـ "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" على هذا الأساس، أقر بوجود التوافق بين غرض السورة و رواياتها التاريخية. يري البقاعي أنّ إحدى طرق اكتشاف ارتباط الآيات هي الوصول إلى الهدف الأساسي من السورة، وكان يذهب إلى أنه في ضوئها يمكن حل مشكلة ترابط الآيات. من ناحية أخرى يقول: من خلال اكتشاف كيفية ترابط الآيات، تتضح الحكمة من تكرار القصة الواحدة في سور مختلفة. ومن هنا يذكر هذه النقطة بأنّ هناك علاقة مباشرة بين هدف السورة وطريقة سرد القصص فيها. (البقاعي، ١٤/١) في سورة المائدة تمت الإشارة إلى ثلاث قصص حقيقية لتقريب المؤمنين من غرض السورة:

قصة بني إسرائيل: تشير هذه القصة إلى عصيان بني إسرائيل وتمردهم عن أمر نبيهم حيث قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائده/٢٤)؛ وكانت نتيجة تمرد بني إسرائيل هذا هي أربعين سنة من التيه في الصحراء. تدل هذه الآية على أنّ بني إسرائيل قد أكثروا في التجرّء على نبيهم؛ لأنهم أولاً أظهروا معارضتهم الواضحة، وثانياً، احتقروا موسى عليه السلام ووعوده، ولم يلتفتوا حتى إلى اقتراح ذينك الرجلين الإلهيين. بعد الخلاص خرج بنو إسرائيل من مصر حتى وصلوا إلى البحر، وكان جيش فرعون على وشك الوصول إليهم حتى نزل الوحي على موسى عليه السلام بأن يضرب الماء بالعصا فنجوا وغرق الفراعنة. ثم وصلوا إلى صحراء لا ماء فيها ولا نبات، حيث أكرمهم الله بـ "المن وسلوي" وفجّر لهم اثني عشر عيناً. ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور أربعين يوماً وليلة ليعبد الله، فسمع قومه حديثه مع الله فلم يؤمنوا، فنزلت عليه التوراة، وبعد أن رجع إلى قومه وجدهم عابدين عجلاً وأحرق موسى عليه السلام العجل وألقى رماده في البحر وأمر قومه بالتوبة، فقبل الله توبتهم. مرة أخرى رفضوا قبول أحكام التوراة، وطلبوا الطعام والنبات، فباركهم الله مرة أخرى، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة التي فرضها الله عليهم لكن بني إسرائيل رفضوا وحرم الله عليهم تلك الأرض، وكانت نتيجة هذا التمرد والعصيان من قِبَل بني إسرائيل هي التيه في الصحراء أربعين سنة.(الطيب، ٣٤٢/٤؛ نجفي خميني، ١٤٥/٤؛ الثعلبي نيشابوري، ٤٤/٤) إن الغرض من ذكر مصير بني إسرائيل هو غاية جحودهم ونقضهم العهد حتى يدرك المسلمون مفاسد نقض العهد والتمسك بالعهود الإلهية.

قصة ابني آدم عليه السلام: في الآيات من ٢٧ إلى ٣١ وردت قصة بني آدم عليه السلام، وربما ارتباطها بالآيات السابقة التي كانت عن بني إسرائيل هو أنّ الدافع وراء العديد من تجاوزات بني إسرائيل هو قضية "الحسد" ويحذرهم الله في هذه الآيات من مدى سوء الحسد في النهاية، لدرجة أنه حتى لهذا السبب يصبّ الأخ دم أخيه. في هذه القصة، "الحسد" هو محور القصة، والحسد هذا هو الذي جعل قابيل يقتل هابيل. لقد جاء في أحد التفاسير: « بيان الآيات تنبئ عن قصة ابني آدم، وتبين ان الحسد ربما يبلغ بابن آدم إلى حيث يقتل أخاه ظالماً فيصبح من الخاسرين ويندم ندامة لا يستتبع نفعاً، وهي بهذا المعنى ترتبط بما قبلها من الكلام على بني إسرائيل واستنكافهم عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله فإن إباءهم عن قبول الدعوة الحقة لم يكن إلا حسداً وبغياً.» (الطباطبايي، ٢٩٨/٥) «إنّ قصة ابني آدم هي قصة ذات عبرة حقا. بالإضافة إلى أنها قصة حقيقية وهدفها تحقيق السلام والصحة بين بني آدم» (المدرسي، ٣٠٨/٢) من الواضح جداً أنّ أصل الخطيئة الأولى التي حدثت في السماء والأرض كان الحسد، في السماء حسد إبليس على آدم، وفي الأرض حسد قابيل على هابيل. لقد بذل النبي جهوداً كبيرة لمنع حسد الصحابة وقريش على على عليه السلام، لكن للأسف حسد بعض الناس منع الناس من التمسك بالتزامهم بعقد الولاية بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

قصة نزول المائدة: هذه قصة معجزة عيسى بن مريم عليه السلام التي تمت استجابة لطلب الحواريين حيث طلب المسيح من الله مائدة فأسعدتهم: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائده/١١٢-١١٣)؛ في هذه السورة، إنّ ما دفع بذهن المؤلف نحو مفهوم المائدة المتوافقة مع غرض السورة لم يكن اسم هذه السورة المباركة فحسب، بل خلقت هذه الحساسية العديد من القرائن والأدلة، بما في ذلك الآيات الافتتاحية لهذه السورة التي طرحت قضية الحرام والحلال من الأكلات، وكانت مزيجة بمواضيع مثل: الوفاء بالوعد، والأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان. في آيات أخرى من السورة، عندما كان الحديث عن أهل الكتاب، يتم ذكر القضايا نفسها، وخاصة تذكر قضية العهود والمواثيق مع أحكام مختلفة مثل الحلال والحرام من الأطعمة. من الملفت للنظر أنّ الله عندما يريد أن يستدل عبودية المسيح عليه السلام ومريم

(عليها السلام) ينتبه إلى طعامهما. إنّ القصة الشهيرة لطلب المائدة من قبل الحواريين من عيسى عليه السلام تحكي نفس القصة أيضاً وعندما يطلب من الله هذه المائدة السماوية فإنه يشير إلى نقاط مهمة، منها أن تكون هدية لأولهم وآخرهم (أي أتباع المسيح عليه السلام) وتكون علامة وآية من الله أيضاً. فلما أجاب الله طلب المسيح عليه السلام قال: إني أنزلها عليكم فمن كفر بعد هذا أعذبه عذاباً لم أعذب أحدا في العالم مثله. كون مائدة المسيح السماوية هدية يعيد إلى الأذهان عيد الغدير السماوي، والكفر بأي منهما يترتب عليه عقاب لم يعاقب الله أحداً مثله. وبنفس الطريقة يمكن التطبيق بين بقية صفات مائدة المسيح السماوية عليه السلام وبين عملية إعلان ولاية عهد أمير المؤمنين عليه السلام. على هذا يتبين أنه باستخدام هذه القصة يمكن تحقيق الغرض الأساسي من هذه السورة، وهو الالتزام بعهد الولاية.

النتيجة:ـ

سورة المائدة هي إحدى السور الطوال في القرآن الكريم والتي تحتوي على موضوعات متنوعة ومتوافقة مع بعضها البعض. تشتمل هذه السورة على قصص متنوعة في موضوعات مختلفة ترتبط ببعضها البعض دون منافاة، وبالتأمل في سياق السورة يمكن اكتشاف محورها الرئيسي. بحسب الدراسات فإن بنية هذه السورة لها تسعة سياقات حيث يطرح كل سياق من هذه السياقات مضامين وقضايا مختلفة ويسعى إلى هدف ثانوي وبشكل عام فإن هذه السياقات تتوافق مع الهدف الرئيسي للسورة. بالنظر إلى مفتتح آيات سورة المائدة ومختتمها يمكن ملاحظة نموذج من علاقة الآيات في بناء هذه السورة. فيما يتعلق بمفتتح الآيات ومختتمها ينبغي أن يقال إنّ سورة المائدة تبدأ بالأمر بالمحافظة على العقود، وفي النهاية بعد أن يذكرّ الملكية والقدرة الإلهية، يتذكر أنه يجب على الإنسان أن يلتزموا بالعهود التي قطعوها مع إلههم. إنّ الانتباه إلى هذا الارتباط يدل على أن هناك ترابطاً بين آيات هذه السورة، وكلها موضوعة في اتجاه الغرض الرئيسي من السورة كما أنّه من خلال القصص والنصائح الواردة في سورة المائدة، يمكن القول إنّ الغرض والهدف الرئيسي للسورة هو ضرورة الوفاء بالعهد وأخذ الاتفاقيات على محمل الجد، وكذلك العواقب السيئة لنقض العهود. إن الارتباط بين مفتتح السورة ومختتمها، والأسماء الحسني، والكلمات المتكررة والكلمات التي استخدمت مرة واحدة، وقصص السورة، كان كلها من أهم معايير اكتشاف محور سورة المائدة في هذا البحث مما يتوافق تماماً والسياقات المستخرجة من آيات السورة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. ابن‌عاشور، محمدطاهر، تفسير التحرير و التنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١۴٢٠ق.

٢. ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغه، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤ق.

٣. بابايي، علي‌اكبر، قواعد تفسير قرآن، قم، پژوهش‌گاه حوزه و دانش‌گاه، ١٣٩٤.

٤. بازرگان، عبدالعلي، نظم قرآن، تهران، انتشارات قلم، ١٣٧٥.

٥. بستاني، فواد افرام، اسلام و هنر، مشهد، بنياد پژوهشهاي اسلامي آستان قدس رضوي، ١٣٧٨.

٦. بقاعي، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، مصر، دارالكتاب الاسلامي، ١٤٢٧ق.

٧. ثعلبي نيشابوري، ابواسحاق احمد بن ابراهيم، الكشف و البيان عن تفسير القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٢ق.

٨. جعفري، يعقوب، تفسير كوثر، بي‌جا، بي‌نا، بي‌تا.

٩. جوادي آملي، عبدالله، تفسير تسنيم، قم، مركز نشر اسراء، ١٣٧٥.

١٠. حاجي‌زاده، يدالله و ديگران، «ريشه ها و علل پيدايش غلو در عصر ائمه (عليهم‌السلام)»، تاريخ فرهنگ و تمدن اسلامي، شماره١٢، ١٣٩٢.

١١. حسيني، بي‌بي زينب؛ برزمند، محسن، « اثبات ولايت اميرالمؤمنين(ع) در سورة مائده با استفاده از روش «تفسير ساختاري»، امامت‌پژوهي، شماره٢٣، ١٣٩٧.

١٢. حسيني همداني، سيدمحمدحسين، انوار درخشان، تهران، كتابفروشي لطفي، ١٤٠٤ق.

١٣. حقي بروسوي، اسماعيل، تفسير روح البيان، بيروت، دارالفكر، بي‌تا.

١٤. حوي، سعيد، الاساس في التفسير، قاهره، دارالسلام، ١٤٢٤ق.

١٥. خامه‌گر، محمد، ساختار هندسي سوره‌هاي قرآن، تهران، شركت چاپ و نشر بين‌الملل، ١٣٨۶ق.

١٦. الراغب الأصفهاني، ابوالقاسم حسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن، بيروت، دارالمعرفه، ١٤٢٨ق.

١٧. زحيلي، وهبه، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دمشق، دارالفكر، ١٤١١ق.

١٨. الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان فى علوم القرآن، بيروت، دارالمعرفه، ١٩٩٠م.

١٩. سيد بن قطب، ابراهيم شاذلي، في ظلال القرآن، بيروت، دارالشروق، ١٤١٢ق.

٢٠. شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، بيروت، دارالشروق، ١٤٠٨ق.

٢١. الطباطبايي، سيدمحمدحسين، الميزان في تفسيرالقرآن، قم، دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه، ١٤١٧ق.

٢٢. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، با مقدمه محمدجواد بلاغي، تهران، انتشارات ناصرخسرو، ١٣٧٢.

٢٣. الطريحي، فخرالدين بن محمد، مجمع البحرين، تهران، مكتب نشر الثقافيه، ١٣٦٧.

٢٤. الطيب، سيدعبدالحسين، أطيب البيان في تفسير القرآن، تهران، انتشارات اسلام، ١٣٧٨.

٢٥. فخرالدين الرازي، ابوعبدالله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠ق.

٢٦. الفراهيدى، الخليل بن احمد، كتاب العين، قم، اسوه، ١٤١٤ ق.

٢٧. فضل‌الله، سيدمحمدحسين، تفسير من وحي القرآن، بيروت، دارالملاك للطباعة والنشر، ١٤١٩ق.

٢٨. القرشي، سيدعلي‌اكبر، تفسير أحسن الحديث، تهران، بنياد بعثت، ١٣٧٧.

٢٩. الكاشاني، ملافتح‌الله، زبدة التفاسير، قم، بنياد معارف اسلامي، ١٤٢٣ق.

٣٠. كوثري، عباس، نقش سياق در تفسير قرآن و فقه، قم، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامي، ١٣٩٢.

٣١. المجلسي، محمدباقر، بحار الانوار الجامعة لدرر الاخبار الائمة الأطهار، لبنان، مؤسسةالوفاء، ١٤٠٣ق.

٣٢. المدرسي، محمدتقي، تفسير هدايت، مشهد، بنياد پژوهش‌هاي آستان قدس رضوي، ١٣٧٧.

٣٣. المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، بيروت، دار احياء التراث العربي، بي‌تا.

٣٤. معتمد لنگرودي، فرشته؛ رضي بهابادي، بي‌بي سادت، «نقش سياق و عناصر درون متني در كشف غرض سوره مريم»، پژوهشهاي قرآني، شماره٤، ١٣٩٧.

٣٥. نجفى خمينى، محمدجواد، تفسير آسان، تهران، كتابفروشي اسلاميه، ١٣٩٨ق.

٣٦. هاشم‌زاده هريسي، هاشم، آشنايي با سوره‌هاي قرآن، قم، بنياد علوم قرآن، ١٤١١ق.